

كلمة اليوم الدراسي :

«التعايش الإسلامي المسيحي في تونس عبر التاريخ»

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

حضرات الزملاء الأكارم، أبنائي الطلبة، يسعدني أن أتقدم باسمكم وباسمي الخاص بالشكر الذي لا مزيد عليه إلى ضيوفنا الكرام وأخص بالذكر الأخ الفاضل والصديق العزيز موريث بورمانس الذي لبي الدعوة للحضور معنا في هذا اليوم الدراسي والإسهام في فعالياته، كما لا يفوتني أن أشكر للسادة الأساتذة من الجامعات الأخرى حضورهم إثراء لأشغالنا، وفي حضورهم أكثر من معنى، ولعل مقتضاه الشدّ على أيدينا حتى ننهض ببعض مسؤوليّة الحوار بين الثقافات والأديان، هذا الحوار الذي لا يخفى على عاقل ثمنه وجدواه لا على حاضر البشريّة فحسب بل إن الأجيال القادمة ستغنم منه الكثير؛ إذ عليه ستوطد القيم الإنسانية المشاعة من سلم وأمن ومحبة وإخاء وتضامن وعدالة. بعد هذا أتوجّه إلى زملائي رئيس وأعضاء وحدة مقارنة الأديان لأشكر لهم سعيهم لإقامة هذه الندوة التي تدرج ضمن جهدهم الكبير في التأطير وتجديد صياغة المضامين والتفتّح علي المحيط والتفاعل معه خدمة لأهداف الزيتونة التي حدّدها الأمر الرئاسي المرجع والتي أوصى به سيادة الرئيس

زين العابدين بن علي مرارا، فألى جانب تعميق المعرفة الدينيّة والسّعي إلى الرفع من تشغيّلية الخرجين، كان التّأكيد على الدّراسات المقارنة والحوار مع الآخر حوارا بناء مفضيا إلى التعارف المؤدّي إلى الوفاق والتّعايش بما يرسّي دعائم مجتمع إنساني موسوم بالتنوع الثقافي لكن في غير ما توتر أو صدام، إنّما تحكمه ثقافة الإخاء والتّسامح والاحترام المتبادل والسّلم، وحق الاختلاف.

حضرات الإخوان والأخوات، لا شك أنّ الاختيار كان موقفا، فالموضوع هامّ باعتبار أنّ طرحه يرمي إلى تمثّل الشّاهد من تاريخ هذا البلد الصّغير من حيث حجمه، الكبير من حيث إرثه وما يختزل في تاريخه الطّويل من نماذج وأمثلة يمكن أن تكون الدّرس، وإن كان المرء على رأي البعض - لا يشرب من النّهر مرتين - فإنّ في الماضي عبرا ومواعظ ولم يخطئ ابن خلدون حين سمّى تاريخه، «العبر».

ويقيني أنّ المتدخلين من زملائي في الزّيتونة وخارجها سيسجّلون تلك الصّورة حيث كان للنّصّ التّأسيسي في الديانتين الإسلاميّة والمسيحيّة دور كبير حتّى أنّه شهد حيّز التّطبيق في الواقع الاجتماعي، فلا إكراه في الدّين، بل إنّ الفرد - بحكم تشبّعه بمقتضيات ذلك النّص - شاعر بحقه في اختيار عقيدته، مارسا إياه مع معرفته التّامة بحق الآخر، بما ولّد ضربا من السّماحة والتّسليم بتلك القيم الضروريّة، أعني جوهر المبادئ الأخلاقيّة السّامية. وفي ظلّ ذلك كانت قدسيّة حقوق الإنسان والقناعة بواجب صيانتها عن كلّ تطاول وفي غير ما تعدّ أو تجاوز. هكذا كان الحقّ ينبع من الذات ليتّرجم في الاجتماع الإنساني ليحقّق الاستخلاف الذي أَرادَه الله تبارك وتعالى للإنسان النّوع مجرد عن كلّ صفة لاصقة.

إنّ تونس العربيّة المسلمة اليوم، كانت بالأمس ولمدة تجاوزت عشرة قرون لاتينيّة اللّسان مسيحيّة الديانة ومن أقطاب النّصرانيّة من كان في هذه الدّيار، ولما جاء الإسلام إلى أرض إفريقية لم يكرّ على المسيحيّة

فحافظت على وجودها، وهو لعمرى أسّ التحضّر وشرطه، وما يجب أن يكون عليه المجتمع الإنساني اليوم وغدا، واعتقادي أن هذا الحسّ تأصل في النفوس ولا أدلّ على ذلك من أن اليهوديّة أيضا كان لها حيّز فيما بعد ومازال، فلم تجد التفور والرفض ومن المعالم ما يشهد بذلك، ومن الواقع المعيش ما يشهد به اليوم.

لكن من المؤسف أن من الميولات الرذولة والنزعات السيّاسيّة والتعصّب الديني والمذهبي ما أدّى إلى الانزلاق والخروج عن تلك الحال، لكن لا يعني أنّها ولّت وأفلت، بل إنّنا نطمح - ولعلّها من أغراض ندوتنا - أن نحرك السّواكن وندغدغ الذاكرة لنحيي ذلك الحسّ في عنقوانه وفي أجلّ مظاهره، ليكون لنا العون على إقامة شراكة بين الديانات السّماوية هدفها استئصال ما قد يعكّر الصّفو ويحول بيننا وبين تعايش سلمي قوامه حوار الحياة، فيه تكون الرّاحة والاطمئنان ورخاء العيش للجميع، ثمّ لنجتثّ الإفرازات المريضة النّاتجة عن انحرافات دينيّة أو ساسويّة أو علمائيّة تفسّدت مشرقا ومغربا أثّرت الفرديّة المصلحة الضيّقة غير عابئة بمصير الإنسانيّة، ولو أنّها ترفع شعار الكونيّة والشمولية.

إنّا في تونس اليوم تحركنا الإرادة السيّاسيّة، وفي أعلى مستوى لنبذل الجهد نحو تحقيق ذلك، وقد توقّرت الأطر والفضاءات، فلننقّ الله ولنعمل عملا صالحا نسعد به في الدّارين ونورث في أجيالنا اللاحقة ما به تسعد الإنسانيّة قاطبة.

في ختام كلمتي أجدّد للجميع الشّكر والامتنان، أشكر للمعهد الأعلى للحضارة الإسلاميّة تبنّيه أشغال الندوة ومديره الأستاذ محرز الحمدي وهذه لبنة ضمن أخرى سابقة وأخرى لاحقة - إن شاء الله تحقيقا - والله الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.